

أ.محمد الصديق محمد الطاهر قادري

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية

جامعة الحاج لخضر - باتنة-

ارتبط نخوض الأمم وصعودها في مراقبي التطور والبناء الحضاري بأعلام في شتى المجالات ، وقد خصت الأمة الإسلامية بأعلام في مجال الدعوة والإصلاح المنبثقين من تعاليم الإسلام ومبادئه ، ليكونوا أبرز دعاة للنهوض و الانعتاق من سلب الأجنبي ، ورغم رزء الاستعمار الذي حل بالجزائر ، فقد رزقت بمصلحين ومثقفين ومفكرين ودعاة ، أوقفوا حياتهم وجهودهم الفكرية والعلمية على إصلاح ما بالبلاد والعباد ، بعد أن كاد الكيان الجزائري أن يضمحل ويزول ، فأدى هذا إلى ظهور أولئك المصلحين الذين انضوا تحت سقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فسموا ذكرهم في الآفاق وذاع صيتهم في الربوع ، من هؤلاء الأفاضل عبد الرحمن شيبان الذي قال عنه الأديب الفارس الشيخ محمد الصالح الصديق " جمعني معه اللقاء بقيادة الثورة وأبطالها ، واللقاء مع قادة الفكر وأولي النهى ، ورجال السياسة وصناع الكلمة فما وجدته في كل هذه اللقاءات والأجواء إلا رجل فكر مع المفكرين ورجل ثورة مع الثائرين ورجل أناقة وذوق وشعور مرهف مع أهل الأدب والحس الاجتماعي المتميز " (1) .

والذي أقدمه في هذا المقال المتواضع معلمين بارزين من حياته عكسا جهوده الدعوية والإصلاحية ، على أمل أن يكون مقدمة تلفت الانتباه للباحثين ، عساهم أن ينطلقوا في جمع تركة علمية تناثرت بين طيات الصحف والمجلات ، فمن المهم أن نولي لتراتنا وعلمائنا حقهم من الدراسة والبحث ، لنعرف بهم في الداخل والخارج ، حتى يكونوا مضرب المثل و القدوات لشبابنا .

-ولادته ونشأته:

ولد الشيخ عبد الرحمن شيبان في قرية الشرفة دائرة مشدالة (البويرة) عام 1918م ، لما بلغ سن التمييز التحق بالكتاب شأنه شأن أغلب الجزائريين ، ففي زمن غير بعيد كانت الأسر الجزائرية تنشئ صبياتها في المراحل الأولى من التعلم على القرآن الكريم و مبادئ الدين واللغة العربية ، هنالك اشتغل عبد الرحمن شيبان بحفظ القرآن الكريم في الرواية السحنونية ، بالزواوة ببني وغليس ، على مقربة من واد الصومام الشهير في حلقات ثورتنا المجيدة ، وبعد التكوين التقليدي تلقى فيه حفظ القرآن الكريم والفقهاء والتوحيد ، وقد تزامن هذا مع انخرطه في مدرسة بن باديس الابتدائية ، ولم بلغ العشرين انتقل إلى الجامع الزيتونة لمواصلة الدراسة ، فالجزائر وقتئذ لم يكن بها مدراس في مستوى هذه المراحل ، فالحظوظ من ظفر بفرصة إلى الزيتونة بتونس أو القرويين بالمغرب أو الأزهر بمصر ، وعبد الرحمن شيبان من أسرة ميسور حالها ، موفور ثراؤها لم تبخل في دعم ابنها حتى يشق طريق المجد فكانت الرحلة إلى تونس .

-رحلته إلى تونس:

نزل عبد الرحمن شيبان جامع الزيتونة بتونس سنة 1938م ، وعمر بها ما يقارب التسع السنوات ، منكباً على التعلم و التفقه ، لا يفكر إلا في هذا المقصد ، فنال حظه ، وقطف ثمرته ، ليجود بها على أبناء البلاد ، وقد كان بما أنذاك الشيخ الطاهر بن عاشور العالم العارف بالله صاحب الفضل والجود .

كان الطلبة الجزائريون في وضع معيشي صعب لا يبعث على الإبداع فمعظمهم عاش وذاق معنى التشرد و الحاجة ، ناهيك عن صعوبة التأقلم مع المناهج في الزيتونة ، وقد تخلل رحلة عبد الرحمن شيبان العلمية إلى تونس عدة محطات أهمها إشرافه على جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين من سنة 1946 إلى غاية تخرجه عام 1947 ، وقد عرفت الجمعية في عهده نقلة نوعية مست الجوانب الحياتية و التعليمية ، وعن هذا يقول عبد الرحمن شيبان "أستطيع أن أقول بدون تطرف أو غلو بأن العهد الذهبي لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس كان في العهد الذي كنت فيه رئيساً لها، لأن الطالب الجزائري حين يأتي إلى تونس يحتاج إلى سكن ، يحتاج إلى امتحان يجري عليه ليقبل في سنة دراسية معينة ويجد صعوبات في هذين الأمرين معا ، ومنذ تولينا رئاسة الجمعية -جمعية الطلبة الجزائريين -جعلنا رئيس جامعة الزيتونة الشيخ الطاهر بن عاشور (رحمه الله) طلباً إليه بقبول أن يكون رئيساً شرفياً لجمعية الطلبة الجزائريين، وفي هذا معنى ما فيه، فنحن حين نتقدم بمطالب لفائدة الطلبة الجزائريين كأننا نخطب أباناً ورئيسنا وليس مديراً للجامعة فقط ، فيسر لنا السبل كلها (2) ، وقد كان من بين ظفر به عبد الرحمن شيبان في عهده ، افتكاكه موافقة من الشيخ الطاهر بن عاشور تسمح بإنشاء فرع للزيتونة في الجزائر ، يكون بمثابة مساعدة تتيح للفقراء والمعوزين مواصلة الدراسة بدون تكبد لعناء السفر وتكلفته في تونس ، وقد اطلق عليه معهد عبد الحميد بن باديس .

تخرج عبد الرحمن شيبان من جامع الزيتونة سنة 1947م وتحصل منها على شهادة العالمية بعد جد وكد استمر قرابة التسع سنوات ومنه كانت العودة إلى أرض الوطن .

-من شيوخه:

يعود الفضل في تنشئة عبد الرحمن شيبان بداية إلى عائلته التي حرصت كل الحرص أن ينال ابنها حظه وحقه من التعلم ، وقد ساهمت ظروفها الميسورة بقسط وافر في اعتناؤه بالتعلم والتحصيل منذ نعومة أظفاره ، ثم كان النيل من علم إمام قرية الشرفة ومعلمها الشيخ المختار الخياري الورثياني ، ثم الالتحاق بالمدرسة السحنونية التي كان على رأسها الشيخ احمد الشريف السحنوني (مقدم الزاوية)، وقد ذكر الأستاذ أبو قاسم سعد الله أن هذه الزاوية تأثرت كثيراً بالفكر الإصلاحية للشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله (3) ، بل إن الشيخ الشريف كان حريصاً للزيتونة وهو الذي منح عبد الرحمن شيبان الترقية التي تشترط عند التسجيل فيها ، وقد درس عبد الرحمن شيبان أيام رحلته العلمية في تونس عند كثير من شيوخ الجامع أمثال الشيخ مختار بن حمودة ومحمد بوشريبة و الشيخ النيفر والشيخ محمد الفاضل بن عاشور والشيخ الشاذلي بن القاضي والشيخ محمد عباس ... ،وقد تلمست من خلال مقالاته تأثره الشديد بإمام الجامع الشيخ الطاهر بن عاشور وهو ما أكده الأستاذ صالح الصديق رفيق دربه في مقال سرد رحلتهما إلى تونس عنوانه ب "عن الصديق الراحل عبد الرحمن شيبان" نشرته جريدة البصائر في عددها 567 ، وتجدر الإشارة كذلك أن عبد الرحمن شيبان تأثر بالشيخ عبد الحميد بن باديس وتلميذه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تأثراً كبيراً ، عكس ذلك كثرة ما كتبه عنهما وكثرة الاستشهاد بأقوالهما في صفحات جريدة البصائر أو دروسه ، وقد خيل في البداية نظراً كثرة كتاباته عن ابن باديس ومعاصرت له أنه تتلمذ عنده لكن الحقيقة أنه لم يحض بلقائه أبداً .

-في معهد عبد الحميد بن باديس :

عاد عبد الرحمن شيبان إلى أرض الوطن محملا بالعلم والإرادة لتغيير ما ألم بأمتة من ظلمات المستعمر الفرنسي ، فكان نزوله بمسقط رأسه قرية الشرفة ، وقد تزامن ذلك مع تواجد الشيخ البشير الإبراهيمي خليفة ابن باديس على الجمعية ومؤسس معهد بن باديس، باحثا عن من يسد ثغور هذا المعهد ، والحق ليس هذا من قلة ، وإنما حرصه على انتقاء الأكفاء ، ليزرع بذرة تشق طريقها عالية نحو نور الحرية ، فاختار من تعلم ونال من حواضر الزيتونة والأزهر والقرويين ، كان الحديث مع والده الحاج محمد البشير ، أين طرح عليه فكرة توظيف عبد الرحمن شيبان في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، وقبل الوالد بهذا الطلب ، لكن الشيخ الإبراهيمي أصر على اصطحابه معه ، كون التحضير لاستقبال طلاب المعهد قد أوشك ، لكن مرضا ألم به فحال دون ذلك، ليلتحق بعد أن تعافى وشفى، ولم يكن ولده يتقاضى أجرا من هذه الوظيفة النبيلة كغيره من الأساتذة ، بل كان ينفق على نفسه من ماله الخاص ، ويساهم في التبرعات للمعهد(4).

أشرنا سابقا أن عبد الرحمن شيبان سعى في عهده على رأس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين أن يكون معهد عبد الحميد بن باديس أحد فروع جامع الزيتونة بالجزائر وهو ما تحقق بالفعل ، وعليه فعبد الرحمن شيبان تخرج من الزيتونة طالبا ليعود إليها أستاذا بأحد أكبر فروعها .

ساهم عبد الرحمن شيبان كثيرا في تنشيط الحركة الثقافية والأدبية بعد تعيينه في المعهد سنة 1948م ، فمع التحاقه مباشرة بدأت تطفو بذور الكتابات الصحفية و الأدبية من طلاب المعهد وأساتذته ، صقلتها لجنة الخطابة التي أسسها بهدف تروض الألسنة وتعليمها فصيح الكلام، فكانت اللجنة تجتمع كل جمعة ليلا تستمع خطابات الطلاب وكتابتهم تحت إشرافها ، ومن بواكير هذا النشاط أيضا انشاء جريدة أسبوعية شارك فيها شبان علماء من مدينة قسنطينة سماها الشعلة ، حملة على عاتقها كفاحا ناعما دُق في نعش المستعمر الفرنسي ، و مما حبيبها إلى القلوب جرأتها ، وتنوع مواضيعها(5).

كما كان عبد الرحمن شيبان حريصا على تشجيع أساتذة المعهد ومشاركتهم في هذه الحركة الأدبية "إني أهيب بزملائي المدرسين أن يجردوا أفلامهم ،فيقدموا للقراء قبسا مما تزخر به عقولهم من معارف وتجارب وجذوة مما يصطرخ في جوانحهم من آمال ومطامح...وبذلك يكونوا خدموا معاهدهم وأمتهم في أوسع ميدان وأحضره ميدان الصحافة الجليل " (6) ، وبالفعل أتت هذه الجهود أكلها سريعا فمع نهاية كل سنة يتقدم المعهد خطوات كبيرة نحو الأمام ،شهد على ذلك التطور الشيخ البشير الإبراهيمي في إحدى زيارته التفتيشية "حضرت بنفسي معظم أيام الاختبار التي دامت عشرة أيام ، عجبت للنظام وال ضبط قبل أن أعجب لنتائج،وأشهد أن لجنة الامتحان كانت متشددة لا متساهلة ومع ذلك فقد أوى العمل الجليل إلا أن يعرب عن نفسه،وأبى العرق الأصيل إلا أن يبين عن عتقه،والحمد لله الذي وفق وأعان(7) .

-العودة إلى تونس :

بعد حوادث شهدتها مدينة قسنطينة انتهت باستشهاد رفيق الدرب الأستاذ أحمد رضا حوحو ، وبداية التعرض لأساتذة المعهد ، قرر عبد الرحمن شيبان مغادرة البلاد إلى تونس ومنه كان الانخراط في المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني حيث كلف بالعمل ضمن دائرة الإعلام الخاصة بالجيش ،هنالك كان اللقاء بالأستاذ محمد الصالح الصديق فجندا قلميها للتعريف بالثورة الجزائرية وكل التطورات الخاصة بها في صفحات جريدة المقاومة والشباب الجزائري ، وبين الفينة والأخرى يتحفا قراء الجرائد التونسية بمقالات في صميم الأدب واللغة على غرار جريدة الأسبوع والزهرة .

تلاميذه: مارس عبد الرحمن شيبان مهنة التعليم في حياته على ثلاث مراحل أساسية :

-مرحلة التدريس بمعهد عبد الحميد بن باديس 1948 إلى غاية 1956.

-مرحلة الإشراف على مفتشية التربية والتعليم مطلع السبعينيات إلى غاية 1980 .

-مرحلة الإشراف على جمعية العلماء المسلمين 1999 إلى غاية 2011 .

1) **المرحلة الأولى** : كانت في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة تتلمذ علي يديه الكثير من الطلاب أذكر منهم على سبيل المثال:

-الأستاذ نوار جدواني الذي التحق بالمعهد الباديسي بداية الخمسينيات وعن هذا يقول "منذ ذلك الحين بدأت الرحلة الروحية مع الأستاذ- عبد الرحمن شيبان- الذي كان يدرس مادة البلاغة والأدب العربي" (8) وهو اليوم أحد أعمدة جمعية العلماء المسلمين ، أخذ على عاتقه شرف جمع تراث الجمعية ، وهو من جمع و طبع مقالات الشيخ عبد الرحمن شيبان في شكل كتب أخرها كتاب سوانح في الفكر والأدب والسياسة.

-الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني الذي التحق بالمعهد سنة 1955، وفي هذا يقول إني أذكر دروس الصرف وتوجيهاته في البلاغة وقدرته على شرح المعقد من صيغ الإعراب والمبهم من صرف الجمل ، وإني لأحتفظ بصورة بدلته الأوربية وطربوشه الأنيق(9).

-الأستاذ مسعود حسنين الورثيلاني .

2) أما المرحلة الثانية : فهي التي كان فيها أستاذا مفتشا للغة والأدب العربي ، وهذه المرحلة تتلمذ على يديه أبناء الوطن من أساتذة وتلاميذ ، فقد كانت رسائله ودروسه تصل المتلقين عبر سلسلة المختار ، في نصوص مختارة أطرت أجيالا صنعت مجد الجزائر -من بينهم والدي - ، لقد كان عبد الرحمن شيبان حريصا في انتقاء النماذج الأدبية الرائدة من العالمين العربي والإسلامي عساها أن تكون قدوات لأبناء الجزائر ، وشهادة حق أن سلسلة المختار التي عكف عليه شيخنا كنز لا يضاهيه كنز.

3) أما المرحلة الأخيرة : فهي التي كان فيها على رأس جمعية العلماء ، تتلمذ فيها قراء البصائر على يديه أين كان يزف سوانحه البليغة مطلع كل عدد ، كانت سوانح غاية في العذوبة ، حملت أحسن الألفاظ وأبلغها ، وحملت أجود الأفكار و أعمقها، كما كان الأستاذ حريصا على المشاركة في التظاهرات العلمية والثقافية التي تنظم في مساجد العاصمة ومراكزها الثقافية.

-وفاته:

بقي عبد الرحمن شيبان وفيا للمبادئ التي تعلمها من شيوخه ، حتى توفاه الله عز وجل في يوم اتحد فيه التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري يوم 12 رمضان 1431هـ الموافق لـ 12 أوت 2011م، ودفن -رحمه الله- بمسقط رأسه عن عمر يناهز 93 سنة قضاه في التعليم والتعلم والدعوة والدفاع عن الإسلام حتى لقب بحامي القيم الإسلامية.

-من آثاره العلمية:

وقد ألف الشيخ رحمه الله تعالى مقالات كثيرة في مختلف المواضيع ، تناثرت بين المجلات والصحف التونسية والجزائرية ، لحسن الحظ دون أكثرها في أرشيفات هذه الصحف ، أهمها ما كتب على صفحات جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين

،وتجدر الإشارة أن عبد الرحمن شيبان قد أخذ كثيرا من قدوته عبد الحميد بن باديس (تربية الرجال عن تأليف الكتب)، فقد أنكب على التدريس والتعليم والتنوير منذ عودته إلى الوطن، ويمكن القول أيضا أن اختياره أسلوب المقالات كان مجبرا عليه نظرا لظروف البلاد حينها ،وقد ذكر شيخنا رحمه الله أن زميله في المعهد الأستاذ رضا حوحو عرض عليه في أيامه الأخيرة تأليف كتاب يعرف برجال الأدب في الجزائر لكنه تحجج بالظروف "ذلك العمل يتطلب فراغا وظروفا غير ظروفنا الثورية التي تحتازها البلاد إذا أردنا أن نخرج للناس كتابا نظيفا"(10) ، وقد جمعت مقالات عبد الرحمن شيبان في ست كتب هي :

- **كتاب حقائق وأباطيل** : تناول فيه الدفاع عن جمعية العلماء المسلمين ومؤسسها بعد شيوع اتهامات وشائعات ترددت عدم المشاركة الجمعية في ثورة التحرير ،جمع فيه ما يقارب الأربعين مقالا يبرز جهود الجمعية ومشاركتها في الإعداد للثورة التحريرية بالأدلة والبراهين.

- **كتاب الأسرة المسلمة وتحديات العصر**: هذا الكتاب خصه للحدث عن الأسرة المسلمة كيف تبنى وكيف تربي وكيف تواجه التحديات التي تواجهها ،وقد خص فصولا بين فيها رأيه - كعالم دين- وجهة نظره فيما يحدث من تغيرات وتحولات مست قانون الأسرة الجزائري.

- **كتاب الجزائر وفلسطين بين قوة الحق وحق القوة**: على خطى شيوخه لم يتوان عبد الرحمن شيبان في الكتابة عن القضية الفلسطينية من جميع الجوانب ، فقد خطت أنامله أصدق العبارات وأجودها بل حاكت حبه لها ،كتب عن تاريخها ،وجهادها والمؤامرات العربية والعالمية التي حُكمت ضدها في قوالب أدبية غاية في الجمال زاد عددها الأربعين مقال.

- **كتاب من هدي الإسلام** : جُمع فيه ما كتبه عبد الرحمن شيبان في مراحل حياته عن رسالة الإسلام وتعاليمه ، عدد مقالاته خمسة وأربعون .

- **كتاب سوانح في الفكر والأدب والسياسية**. أشرف على جمع وتنظيم هذا الكتاب الأستاذ نوار جدواني تلميذه و أبرز ما يُلحظ عليه تلك التصنيفات الموضوعية التي قام بها ،إذ وزع ما جمعه من مقالات بين ستة محاور (التربية والتعليم ،الفكر الإسلامي ،السياسة ،حوار الحضارات ،أعلام وطنية ،الأدب والنقد) ،وقد طبع هذا الكتاب بعد وفاته رحمه الله.

- مقدمة مجلة الشهاب .

- كتاب في موكب الثورة.

- **جهوده في الدعوة والإصلاح** : كما أشرت سابقا أنني سأكتفي بذكر عمليين بارزين قام بهما الأستاذ عبد الرحمن شيبان:

1- **إصلاحات منظومة التربية الوطنية**: يعتبر عبد الرحمن شيبان من الأوائل الذين ساهموا في وضع اللبنات الأولى في المنظومة التربوية الجزائرية، فبعد تعيينه على رأس المفتشية العامة للغة والأدب العربي والتربية الإسلامية، في المستوى الثانوي والمتوسط والابتدائي لحنكته وخبرته السابقة في معهد عبد الحميد بن باديس ، ساهم في وضع سلسلة المختار وأشرف على حوالي عشرين كتابا " ففي السنوات الأولى للاستقلال ، واستكمالا لاستعادة الهوية الوطنية ، أسندت لعبد الرحمن شيبان وظيفة مفتش عام للغة والأدب العربي والتربية الإسلامية ، لما يتمتع به من خبرة في مجال التعليم ، كما أسندت إليه رئاسة اللجنة الوطنية للبحث التربوي التطبيقي ، والتأليف المدرسي للتعليم الثانوي ، حين أنشئ المعهد التربوي الوطني (11) . فملئ بذلك الفراغ الذي عانته

المنظومة التربوية طيلة سنوات " وبعد فإن بإصدار هذا الكتاب نكون قد أقمنا المرحلة الأولى من مراحل تأليف الكتاب الجزائري لمادة التربية اللغة و الأدب العربي، فمألنا الفراغ الذي كان يحيم على مدارسنا(12). .

رسم عبد الرحمن شيبان منهجية هادفة يسير عليه كل من الأستاذ والتلميذ في دروس الأدب واللغة العربية ، في مقدمة كل كتاب كان حريصا على ضرورة التدرج بالتلميذ في تلقي هذا النوع من العلوم ليبدد صفة الثقل والجمود، والجفاف، والغموض، ومحو كل ما استقر في الأذهان تجاهها على جميع المستويات ، وليحقق هذه الغاية يقول "لقد تناولت الصفوة من أئمة التربية المشكلة بالبحث الجاد، وانتهوا من وراء تجاربهم، إلى اتخاذ طريقة وسط تتفق معهم عليها، ونرتضيها لأنفسنا منهاجا يتلخص في ما يلي :

- أن يعفى التلاميذ من دراسة القواعد ، بالصورة الاصطلاحية، حتى السنة الخامسة الابتدائية ، ويكتفى في هذه المرحلة ، بتعويد التلميذ على الاستعمال الصحيح للثروة اللغوية البسيطة التي يتعامل بها في حياته اليومية ... أما في السنة الخامسة والسادسة الابتدائيتين ، فيقتصر على دراسة القواعد الأولية، مثل الجملة بنوعها ، و أركان الجملة دون التعرض للتفصيلات والمصطلحات. وفي مرحلة المتوسط والثانوي يمكن التلاميذ من دراسة القواعد في ثوبها الاصطلاحي في تدرج وتكامل وفقا للبرامج المعدة لهاتين المرحلتين ، مع مراعاة مستوى التلاميذ ووضعية كل مدرسة (13).

أما عن الأدب العربي فقد نالت عصوره حضنها من الدراسة في المنظومة التربوية ، انطلاقا من العصر الجاهلي في السنة الأولى وانتهاء بالعصر الحديث في السنة الثالثة من التعليم الثانوي، عرف فيها التلميذ قوالب وأشكال الأدب في هاته العصور على شكل دراسات تاريخية ونقدية " وإذا كنا قد بدأنا بالعصر الجاهلي وانتهينا إلى العصر الحديث ، فذلك لأسباب تربوية انتهت إليها تجارب علماء التربية في العصر الحديث ، فالأدب الجاهلي وإن امتاز بصعوبة ألفاظه بسبب بعدها عن لغة عصرنا فإن معانيه سهلة وبسيطة ، في حين أن الأدب الحديث وإن كانت ألفاظه يسيرة سهلة - في الجملة - فإنه يتسم بعمق المعاني وبعد المرامي، والتدرج من السهل البسيط إلى الصعب العميق - في تقديم المعلومات و الأفكار - هو ما يطابق مبدأ النمو العقلي والتدرج الفكري لدى التلاميذ(14). . و لعبد الرحمن شيبان منهجية مميزة في استثمار الثروة والمخزون الأدبي الجزائري منه والعربي والإسلامي ، إذ لم يتوان في أن يكون التمثيل عن الفنون الأدبية متنوعا بشخصيات شملت كل من برز في الأقطار العربية والإسلامية ، سعيا منه على نفض الغبار والتهميش الذي مس أكثرها ، منتقيا في ذلك أروع ما خطته أنامل هذه الرموز .

ويحتم عبد الرحمن شيبان كل الكتب المدرسية التي أشرف عليها بتوجيهات تربوية يقدمها للأساتذة حتى تكتمل الصورة في تقديم هذه المادة المهمة ، وقد تباينت هذه التوجيهات على حسب المستوى والتخصص (علمي ، أدبي) نذكر منها حصرا ما جاء في الأسطر الأخيرة لمقدمة كتاب المختار للسنوات النهائية جاء فيها ما يلي :

- يكلف التلاميذ بإعداد النص قبل الدرس للإحاطة ببعض لغوياته وأفكاره وموضوعه بصفة عامة ، دفعا لهم على المشاركة في الدرس بحيوية وفعالية.
- تمهيد موجز يضع التلميذ في جو النص ويعينه على إدراك الإطار العام لموضوعه بتعريف التلاميذ بصاحب النص وبيئته ومناسبه ويكون هذا التمهيد بطرق عدة كعرض لوحة أو سماع أسطوانة .
- قراءة النص قراءة فنية جيدة ، مع دفع التلاميذ على ذلك مراعين الخصائص في كل ما يقرأون .
- تحديد الفكرة العامة للنص .
- الشرح التفصيلي للنص ، وذلك بطريقة الوحدات تسهيلا للشرح.

- تحليل النص .
- استخراج الخصائص الفنية للنص.
- تدريب التلاميذ على موضوع الدرس وذلك بالإجابة الشفوية والتحريرية على بعض الأسئلة عن(15).
- ما ميز إصلاحات عبد الرحمن شيبان في المنظومة التربوية :
- التقديم والإشراف على إنتاجات معرفية ثرية لجميع المستويات التربوية ففي السابق كانت المنظومة التربوية تعتمد على ما يأتي به الوافدون من مصر وسوريا بسبب النقص الحاد في المؤطرين.
- استخدام طريقة المقاربة بالكفاءات في جميع المستويات وذلك بجعل الجميع -التلاميذ والأساتذة- يشغل على الدرس بعيدا عن التلقين وهذا ما يزيد في نسبة نجاحه .
- استغلال مواطن التمثيل بكل ما له صلة بالإسلام والعروبة من شخصيات وقصص وعبر من القرآن الكريم والأثر.
- اعتماد طريقة التدرج في توصيل علوم اللغة والأدب فجنده يبعد السنوات الأولى من التعليم الابتدائي عن علوم اللغة حتى السنة الخامسة والسادسة ، ثم يبدأ في بعثها من جديد في ظرف مناسب متماشيا وقدرات التلميذ ، حتى يكون التلقي في المرحلة الثانوية مزدوجا بين الأدب واللغة.
- حسن انتقاء الدروس والنصوص في كل مرحلة وهو م ما لمسناه كذلك في مجالات أخرى .
- يرسم للمعلم والتلميذ طريقة بناء التعلّات بصورة متسلسلة ومنطقية.
- لا يتوان في تقديم الارشادات والتوجيهات في كل ما يقدمه .
- يستمر دائما في تنقيح وتصحيح ما يقدمه للمنظومة التربوية فاتحا المجال للاقتراحات والآراء وهو ما يجتّم به عادة افتتاحياته.
- الاعتراض على أن تكون مادة التاريخ اختيارية بينها وبين الفرنسية في امتحان البكالوريا كونه يساوي بين تاريخ الشعب ولغة المستعمر القديم (16).
- بعد توليه مهام أخرى - بعيدا عن قطاع التعليم - حرص عبد الرحمن شيبان على مراقبة التغيرات التي تطرأ على المنظومة التربوية ، كونها العنصر الأساس في بناء وتربية الأجيال التي يعول عليها في المحافظة على هويتها العربية و الإسلامية ، وبقى على هذا الحال حتى بعد مرحلة التقاعد والإشراف على جمعية العلماء المسلمين مسخرا جهده وقلمه لكل من يريد تمجيد المنظومة التربوية "عرفت المنظومة التربوية الجزائرية - منذ فجر الاستقلال - تطورات كثيرة سلبيا وإيجابيا ، وأبرزها إيجابيا المدرسة الأساسية ، وأبرزها سلبيا مشروع لجنة بن زاغو (17) ، التي تعرضت فيها التربية الإسلامية واللغة العربية إلى إجحافا خطير ينذر بمستقبل كالح فيما يتصل بالجانب الذاتي في تكوين أجيال جزائرية صحيحة العقيدة ، سوية الخلق ، فصيحة اللسان والقلم ، طموحة التقدم الحضاري ، والتنمية الاقتصادية ن في كنف الحرية والعدل ، والسلم والاستقرار" (18) وفي جلسة لتقييم تطور اللغة العربية نظم "بيان الأربعاء" (19) ندوة للوقوف على حالة اللغة العربية طيلة أربعين سنة ، أجمع على أن اللغة العربية تعاني تهميشا في الآونة الأخيرة من طرف المسؤولين الذين منحوا اللغة الفرنسية حيزا كبيرا على حساب اللغة العربية ، وفي هذا يقول عبد الرحمن شيبان "الفترة الرئاسية لبوتفليقة نالت من عزة اللغة العربية".(20)
- وفي رده عن الإجراء القاضي بإلغاء شعبة العلوم الشرعية وتقليص الحجم الساعي لمادة التربية الإسلامية في . جميع المستويات الذي أصدرته وزارة التربية سنة 2005 "ان إلغاء شعبة العلوم الشرعية إساءة للأجيال وأي تهديد في التربية الإسلامية يعرض الشعب

للتمزق والتفرق لأن الإسلام ظل الحافظ لوحدة الشعب الجزائري عبر الأزمان" (21) وبعد ضغوطات كبيرة فرضتها الهيئات الوصية أقدمت وزارة التربية على تعديل هذا القرار يوم 23 جانفي 2006 يقضي بترقية المواد التي تكون شخصية التلميذ الجزائري وتجعل التربية الإسلامية إجبارية في امتحان البكالوريا ، وزيادة حصص اللغة العربية والتاريخ (22).

وعن موقفه من تعلم اللغات الأجنبية يرى عبد الرحمن شيبان أن اقحامها بداية من السنة الثانية ابتدائي من شأنه أن يعيق التعلم السليم للغة العربية، ويفضل تأجيلها إلى مراحل أخرى من دورة التعليم ، ويولي عبد الرحمن شيبان اهتماما كبيرا بالانفتاح على اللغات الأجنبية العالمية، لكن ليس على حساب اللغة الأم "ان الدول المتقدمة تعلم أبناءها اللغات الأجنبية، فكيف بنا ونحن نعد من الدول الشعوب المتخلفة أن نستغني عنها ، ولكن هناك فرق بين أن نفتح على هذه اللغات و نعلمها وبين أن نجعلها قبل لغتنا الأم" (23).

2- ملتقيات الفكر الإسلامي: بعد تصيب عبد الرحمن شيبان على رأس وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، سارع إلى مواصلة سلسلة ملتقيات الفكر الإسلامي التي عرفتها الجزائر منذ سنة 1968م ، والتي كانت تنظم كل سنة تقريبا ، كانت الملتقيات بمثابة جامعة متنقلة أساتذتها علماء ومفكرون من أنحاء العالم العربي والإسلامي ، وفي هذا يقول عبد الرحمن شيبان "وهاهي الجزائر في عهد الحرية والبناء ، تنظم هذه الملتقيات ، بل هذه الجامعات المتنقلة ، سنويا بين مختلف مدنها ، يشارك فيها علماء أعلام ومفكرون وباحثون ، من مختلف القارات ، فينهل شبابنا من معارفهم الغزيرة ، بفضل محاضراتهم ومناقشاتهم وتعقيباتهم ، وتصبح الجزائر مدة أسبوع عاصمة للثقافة الإسلامية (24)، وفي هذا يقول الدكتور يوسف القرضاوي واصفا إياها " كانت ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر تجمع صفوة من خيار علماء الأمة في العادة من أقطار عربية و إسلامية مختلفة ، وكانت تطرح فيها موضوعات حية، تقدم فيها البحوث وتناقش من العلماء ، وتصدر بعد ذلك التوصيات(25).

استهل عبد الرحمن شيبان أعماله الكبرى على رأس وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالإشراف على الملتقى الخامس عشر المنعقد من 02 إلى 08 ذو القعدة 1401هـ الموافق لـ 31 إلى 07 سبتمبر 1981م بمدينة الجزائر العاصمة، محوره القرآن الكريم أساس تشريع المسلمين ومصدر هدايتهم ومنبع حضارتهم وباعث نهضتهم ، ألقى فيه كلمته الافتتاحية بصفته وزيرا للشؤون الدينية وممثلا لرئيس الجمهورية السيد الشاذلي بن جديد ، وبعد سنة أشرف على العدد السادس عشر لنفس الملتقى الذي انعقد بمدينة تلمسان من 06 إلى 13 شوال 1402هـ الموافق لـ من 27 جويلية إلى 03 أوت 1982م وعن اختياره لمدينة تلمسان يقول عبد الرحمن شيبان " إن إقامة الملتقى السادس عشر بمدينة تلمسان المجاهدة أما هو بمناسبة تأسيس دار الحديث فيها من قبل الإمام عبد الحميد بن باديس ونصيره البشير الإبراهيمي" (26) ، وقد كان محوره السنة النبوية المطهرة تحت شعار قوله تعالى "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" (27) وقد حضره لأول مرة الدكتور يوسف القرضاوي .

وفي السنة الموالية أشرف عبد الرحمن شيبان كذلك على الملتقى السابع عشر المنعقد يوم 08 إلى 15 شوال 1403هـ الموافق لـ 19 إلى 26 جويلية 1983م بمدينة قسنطينة مدينة عبد الحميد بن باديس ، استغل عبد الرحمن شيبان هذه الافتتاحية للإشادة برائد الإصلاح في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس وفي هذا يقول "مدينة بن باديس التي كان لها الأثر الأعظم في تفجير الثورة الإصلاحية في الجزائر فمن رحاب جامعها الأضر، انطلقت دعوة الإمام عبد الحميد إلى الإصلاح الشامل ، عقيدة وعبادة ومنهاج حياة، على نهج السلف الصالح" (28) محوره الاجتهاد ، كما صاحب انعقاده الاحتفال بالسنة الثانية لتأسيس جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (29).

وبتاريخ 11 شوال 1404 هـ الموافق ل 10 جويلية 1984م احتضنت الجزائر العاصمة الملتقى الثامن عشر للفكر الإسلامي، محور الصحوة الإسلامية ، أشرف على افتتاحه شخصيا رئيس الجمهورية السيد الشاذلي بن جديد(30).

وفي السنة الموالية عقدت الطبعة التاسعة عشر لهذا الملتقى من 19 إلى 27 شوال 1405 هـ الموافق ل من 08 إلى 16 جويلية 1985م ،محوره الغزو الثقافي والمجتمع الإسلامي احتضنته مدينة بجاية ، افتتحه عبد الرحمن شيبان بالحديث عن التواصل والتراط الذي ميز الملتقيات السابقة كما استغل الفرصة للحديث عن ما فعله الاستعمار الفرنسي بأرض الجزائر وعن هذا يقول " إن شقيقتكم الجزائر ، التي تحتضن ملتقاكم هذا ، قد عانت ما يقارب من قرن ونصف ، ويلات الغزو الاستعماري بنوعيه، العسكري والثقافي ، ذلك أن الاستعمار الفرنسي لم يستهدف ، في احتلاله الأرض وحدها ، بل تجاوز ذلك إلى محاولة مسح الشعب الجزائري المسلم ، بتشويه دينه ولغته وتاريخه..."(31).

وفي سنة 1986 احتضنت مدينة سطيف الطبعة العشرون الملتقى الفكر الإسلامي من 27 ذو الحجة إلى 05 محرم 1406 هـ الموافق ل من 02 إلى 09 سبتمبر 1986م ، محوره المجتمع الإسلامي المعاصر .

هذه ستة ملتقيات التي أشرف عليها عبد الرحمن شيبان من عددها البالغ أربعة وعشرون ،وبهذا العدد يكون في المرتبة الثانية بعد المرحوم الدكتور مولود قاسم نایت بلقاسم من حيث الإشراف والمشاركة فيها.

ما يلاحظ على هذه الملتقيات :

_ الاختيار الأمثل والموفق للمحاور وأماكن الانعقاد، اختار تلمسان كون تاريخ الاجراء تزامن مع الاحتفال بذكرى تأسيس دار الحديث وموضوع الملتقى حينها السنة النبوية، وهذا تكريم لجمعية العلماء التي لها الفضل الكبير في نهضة الجزائر، واختار قسنطينة محور الاجتهاد لتسليط الضوء على اسهامات رائد النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس ، وهذا كذلك تكريم لمعلمه وشيخه عبد الحميد رحمه الله، واختار بجاية محور الغزو الثقافي لبعث جذور الأصالة الإسلامية للشعب الجزائري في مناطق الأمازيغ.

_ التسلسل المنطقي لمحاور الملتقيات إذ جاء القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع ، ثم جاءت السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني ، ثم جاء الاجتهاد ،ثم تنوعت المواضيع بحسب الظروف الآنية للعالم الإسلامي.

_ مشاركة وفود لم يسبق لها المشاركة من قبل مثلا الدكتور يوسف القرضاوي شارك أول مرة سنة 1980م ،والوفد الإيراني على رأسهم أية الله التسخيري بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران.

_ فتح المجال لمشاركة شريحة واسعة من الجمهور والطلبة والمثقفين، ففي السابق كان الحضور مقتصرًا على عينية من الطلبة تختار بعناية فائقة ،وكانت الأماكن محدودة جدا.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الورقات الرائعة لتعلقها بأحد أعلام الجزائر ،إذ التبحر في سيرهم وحياتهم لكفيل بتعلم التجارب والدروس ، نختتم بشهادة للدكتور محمد الهادي الحسيني في حق الشيخ رحمه الله "من الناس من يكتب كلاما أو يقول قولا وهو غير مؤمن بما يكتبه أو يقوله ،ومنهم من لا يكتب شيئا أو يقوله إلا وهو صدق حقيقي لما في قلبه وعقله ،ومن هذا القبيل الشيخ عبد الرحمن شيبان الذي عرفته -مذ عرفته- إلا داعيا إلى الإسلام على بصيرة، ومجادلا عنه بالبرهان الساطع والدليل...

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

الهوامش:

- ¹ (عبد الرحمن شيبان ، في موكب الثورة ، دار الخلدونية ط1 سنة 2011، ص 4
- ² (جمعية الطلبة الجزائريين الريتونيين ، دراسة تاريخية في مسيرتها النضالية من 1934_1947 ، الطالب عامر مريقي ، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الدكتور مولود عويمر ، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر ، 2010-2011.
- ³ (أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1، لجزائر 1981 ، دار البصائر ، ج 3، ص 199.
- ⁴ (عبد الحميد عبدوس وكمال بوسنة ، جريدة البصائر ، العدد 289 بتاريخ 29 ماي 2006، ص 8.
- ⁵ (عبد الرحمن شيبان ، في موكب الثورة ، دار الخلدونية ، ط1، سنة 2011، ص 15.
- ⁶ (عبد الرحمن شيبان ، سوانح في الفكر والأدب والسياسة ، دار الخلدونية، ط1 سنة 2012 ، ص 13.
- ⁷ (البشير الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، سنة 1997، ج 1، ص 212.
- ⁸ (نوار جدواني مقدمة كتاب سوانح في الفكر والأدب والسياسة ، ص 3.
- ⁹ (ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ عبد الرحمن شيبان .. أستاذ فاضل وعالم جليل ، جريدة البصائر ، العدد 687 بتاريخ 19 جانفي 2014، ص 15.
- ¹⁰ (عبد الرحمن شيبان ، في موكب الثورة ، دار الخلدونية ، ط1، سنة 2011 ص 25.
- ¹¹ (سوانح في الفكر والأدب والسياسة ، ص 17
- ¹² (أحمد سيد محمد ، المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية للسنة الثالثة ثانوي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر ، 1979-1980. (مقدمة الكتاب)
- ¹³ (سوانح في الفكر والأدب والسياسة ، ص 32، 33
- ¹⁴ (المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية (مقدمة الكتاب)
- ¹⁵ (المصدر السابق (مقدمة الكتاب).
- ¹⁶ (انظر مصطفى د ، عبد الرحمن شيبان حامي القيم الإسلامية ، ، جريدة الجزائر زووم ، العدد 208، الثلاثاء 14 سبتمبر 2004، ص 24.

- ¹⁷ (بن زاغو هو لقب اطلقه عبد الرحمن شيبان على اللجنة التي كلفتها وزارة التربية بعمل إصلاحات على المنظومة التربوية سنة 2001.
- ¹⁸ (عبد الرحمن شيبان، سوانح في الفكر والأدب والسياسة، مع محنة المنظومة التربوية، دار الخلدونية، ط1، الجزائر 2012،
- ¹⁹ (ركن تقدمه جريدة أخبار الأسبوع، ضم في هذا العدد د.محمد العربي ولد خليفة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، ود.علي بن محمد وزير التربية السابق، والشيخ عبد الرحمن شيبان.
- ²⁰ (عبد رحمان شيبان، الشعار الخالد، جريدة أخبار الأسبوع، العدد 121، من 24 إلى 30 جانفي 2004، ص13.
- ²¹ (مصطفى د/م.بوحسان، شيبان يجرم إلغاء شعبة العلوم الشرعية، جريدة اليوم، العدد 1907، الأحد 15 ماي 2005، ص3.
- ²² (عبد الرحمن شيبان، سوانح في الفكر والأدب والسياسة، ص35.
- ²³ (عبد الرحمن شيبان، الشعار الخالد، ص13
- ²⁴ (عبد الرحمن شيبان، سوانح في الفكر والأدب والسياسة، دار الخلدونية، ط1، الجزائر 2012م، ص52.
- ²⁵ (يوسف القرضاوي، موقع الدكتور يوسف القرضاوي، الحلقة التاسعة والعشرون في حديثه عن ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، تاريخ الزيارة 2014/03/21.
- ²⁶ (شافية صديق، ملتقيات الفكر الإسلامي العالمية في الجزائر (1962-1990) استقطاب علمي متميز أم استخدام سياسي ذكي، مجلة المسلم المعاصر العدد 127 لبنان 2008.
- ²⁷ (سورة الحشر الآية 06.
- ²⁸ (عبد الرحمن شيبان، المصدر السابق، ص57.
- ²⁹ (شافية صديق، المرجع السابق.
- ³⁰ (لم أجد إشارات للشيخ عبد الرحمن شيبان في أي من مؤلفاته عن هذا الملتقى، غلب على ظني أنه اكتفى بالإشراف التنظيمي فقط.
- ³¹ (عبد الرحمن شيبان، المصدر السابق، ص71.